النزعة السلفيَّة في معالجة محمد رشيد رضا للصفات الإلهيَّة

إعداد

د/محمد سيد محمد أحمد

المدرس بكلية الآداب–جامعة أسيوط

المستخلص

لقد احتلت قضية الصفات الإلهية مكانة كبيرة في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي؛ فلقد شغلت حيزًا من تفكير علماء الكلام بشكل واضح، وكانت مثارًا للنقاش والجدال خاصةً عند المعتزلة والأشاعرة بالإضافة إلى فلاسفة الإسلام والمتصوفة، ولقد كان للسلف منهج واضحٌ حيال الصفات الإلهية، يقوم هذا المنهج على قاعدة إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الصفات ومعانيها من غير تمثيل وتنزيهًا من غير تعطيل.

ولقد رأى رشيد رضا أن منهج السلف في التعامل مع الصفات الإلهية هو الحق البيّن الثابت وهو منهج الأئمة الثقات وهو الأسلم والأعلم وألاحكم. مؤكدا على أن طريقة السلف في إثبات الصفات الإلهية هي الطريقة الأفضل في الجمع بين النقل والعقل.

الكلمات المفتاحية

النزعة السلفيَّة؛ محمد رشييد رضا؛ الصفات الالهية

Abstract

The issue of divine attributes has occupied a significant place in the history of Islamic philosophical thought. It has obviously preoccupied theologians' minds, and has been an object of debate, specially among Muʿtazilites (Isolationists) and Asha'rites besides Moslem philosophers and Sufis. The Salafis had a clear approach to divine attributes. This approach is based on the rule that any attribute that Allah has ascribed to Himself or that His Prophet has ascribed to Him, is an attribute in a real sense, and is not metaphorical.

Rashid Reda saw that the Salafi approach to divine attributes is the right and fixed approach, and is the approach of trustworthy imams. It is the safest, the most knowledgeable and the wisest approach. He confirms that the Salafi approach to proving divine attributes is the best approach the combines both tradition and the mind.

Key words: Salafism ؛Mohamed Raqshaid Reda; Divine attributes

مقدمة:

لقد احتلت قضية الصفات الإلهية مكانة كبيرة في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي؛ فلقد شغلت حيزًا كبيراً من تفكير علماء الكلام بشكل واضح، وكانت مثارًا للنقاش والجدال خاصةً عند المعتزلة والأشاعرة بالإضافة إلى فلاسفة الإسلام والمتصوفة، وإذا كان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فإنه ليس بمقدور العقل البشري الخوض في ماهية صفات الله ومعرفتها على التفصيل، فصفات الله تعالى من الأمور الغيبية التي لا يستطيع البشر معرفتها إلا عن طريق القرآن والسنة؛ لأن البشر ليس بمقدورهم الإحاطة بالذات الإلهية، قال تعالى:{وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}(طه:١١٠).

ولذا كان للسلف موقفٌ واضحٌ حيال الصفات الإلهية، وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الصفات ومعانيها من غير تمثيل وتنزيهًا من غير تعطيل، وليس مجالنا الآن أن نعرض لآراء المُتكلمين تجاه الصفات الإلهية وموقف السلف من هذه الآراء، وإنما نود هنا إبراز النزعة السلفية في معالجة قضية الصفات الإلهية عند شخصية من أهم شخصيات مرحلة النهضة العربية تأثيرًا وجدلًا إنه المُفكر "محمد رشيد رضا" (*) -رحمه الله- وهذه هي مشكلة هذا البحث.

مشكلة البحث:

يُعد محمد رشيد رضا من أهم شخصيات مرحلة النهضة العربية تأثيرًا وجدلًا، فلقد اختلفت الآراء حوله، فبعضهم يراه خليفة الشيخ "محمد عبده"(١٨٤٩-١٩٠٥) وتُرجمانا لمدرسته الدينية في اعتزازها بالعقلانية(١) – تلك المدرسة التي أطلق عليها في عصر النهضة العربية المدرسة العقلية الحديثة(*)- بينما يراه آخرون ينتمي إلى المدرسة السلفية(*)؛ نظرا لتأثره بمؤلفات شيخ الإسلام "ابن تيمية" (٧٢٨-٦٦١هـ) وثنائه على دعوة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب"(*) التي انطلقت من بلاد الحجاز وجابت معظم الأقطار والبلدان.

ونظرا لتعدد الآراء حول الحكم على شخصية محمد رشيد رضا اختار الباحث قضية؛ مهمة الوقوف عليها يساعدنا في إزاحة الستار حول ذلك الخلاف الذي دار حول شخصية رشيد رضا، إنها قضية الصفات الإلهية، تلك القضية العقدية نظرًا لارتباطها أشد الارتباط بقضية الذات الإلهية، ولا يمكن فصلها بأي حالٍ من الأحوال عنها، وما يعيننا في هذا البحث هو محاولة إبراز النزعة السلفية في معالجة رشيد رضا لهذه القضية.

أهداف البحث:

١-تسليط الضوء على محور هام من محاور فلسفة محمد رشيد رضا تلك الشخصية التي بلغت من الشهرة والصيت مبلغا عظيما في شتى أرجاء وطننا العربي والإسلامي؛ بفضل هذه المجلة التي أنشاها رشيد رضا والتي عُرفت باسم (مجلة المنار) والتي كانت محط أنظار الباحثين والمفكرين حينئذ، والتي بث فيها رشيد رضا فلسفته.

٢- الوقوف على النزعة السلفية في معالجة رشيد رضا لقضية الصفات الإلهية، تلك القضية التي تُعد من مسلمات العقيدة الإسلامية؛ لذا فهي من أخطر وأدق قضايا علم الكلام، والتي شغلت حيزا كبيرا من تفكير المتكلمين في الفكر الفلسفي الإسلامي، وكانت أرضا خصبة للنقاش والخلاف فيما بينهم.

٣- بناء رؤية واضحة حول شخصية دار حولها خلاف وجدل كبير بين من يرى رشيد رضا من رواد الاتجاه العقلي وخليفة لـ"محمد عبده" وترُجمانًا لأفكاره، وآخرين يرونه يقتفي آثار السلف في طرحه للقضايا العقدية لاسيما قضية الصفات الإلهية.

أهمية البحث:

إن البحث في قضية الصفات الإلهية عند مُتكلم أو فيلسوف ما كفيل بأن يوضح لنا منهج هذا المُتكلم أو ذلك المُفكر، ومن خلال عرضنا لمعالجة رشيد رضا لهذه القضية نستطيع أن نقف على فكر ومنهج رشيد رضا.

ونجيب عن هذا التساؤل هل وقف رشيد رضا كما وقف السلف في إثبات الصفات الإلهية دون ثمة تأويل أو تشبيه، ودون البحث في كيفيه هذه الصفات أم أنه نحا منحى الاتجاه العقلي في تأويله للصفات الإلهية ؟ وهنا تكمن أهمية هذا البحث في تناول قضية الصفات الإلهية عند أحد أهم شخصيات مرحلة النهضة العربية.

ومن وجهة نظر الباحث أن بيان هذه القضية عند رشيد رضا من الأهمية بمكان أن تكشف لنا حقيقة الخلاف الذي دار حول الحكم عليه هل نزع عباءة المدرسة العقلية التي تتلمذ فيها على يد الشيخ محمد عبده؟ أم أنه سار على نهج السلف وشيخ الإسلام "ابن تيمية" في التسليم المطلق بما جاء فى الكتاب والسنة عن الذات الإلهية وصفاتها، دون ثمة تأويل؟

محاور البحث:

انقسم هذا البحث إلى ستة محاور بالإضافة إلى المقدمة، وأخيرًا جاءت خاتمة البحث وعرض فيها الباحث أهم النتائج التي توصل إليها، أما عن محاور البحث فجاءت على النحو التالي:

المحور الأول: أهمية العلم بصفات الله تعالى وفائدته عند رشيد رضا.

المحور الثاني: منهج رشيد رضا في فهّم الصفات الإلهية وأثر السلف عليه.

المحور الثالث: النزعة السلفية في تقسيم رشيد رضا للصفات الإلهية.

المحور الرابع: النزعة السلفية في شرح رشيد رضا للصفات الذاتية.

المحور الخامس: النزعة السلفية في شرح رشيد رضا للصفات الفعلية.

منهج البحث:

أما عن منهج البحث فإننا نؤثر هنا في معالجتنا لموضوع هذا البحث انتهاج المنهج التحليلي؛ حيث إنه يعدُّ -من وجهة نظر الباحث- أنسب المناهج وأشدها ملائمة لطبيعة الموضوع وغايات البحث.

أولاً-أهمية العلم بصفات الله تعالى وفائدته عند "رشيد رضا":

لقد أولى رشيد رضا اهتماما كبيرًا بقضية الإلوهية وخاصة الجزء الخاص المتعلق بالصفات الإلهية، لذلك نجده في أشهر مصنفاته "تفسير المنار" قد أفرد لهذه القضية قسطًا وافرًا من العناية بيّن فيه أهمية هذا العلم وفائدته، وفي هذا الصدد يقول: "أما العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله فهو معراج الكمال الإنساني"[٢] وفي مجلة المنار يقول رشيد رضا:"...وإن من أعلى العلوم العقلية والمعارف الروحية في هذه الدنيا هو معرفة الله سبحانه وتعالى والعلم بمظاهر أسمائه وصفاته."[٣]

ويستطرد رشيد رضا في بيان أهمية العلم بصفات الله تعالى قائلا: "وقد فطن لهذا بعض حكماء العلماء فقال أبو حامد الغزالي.... وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وصفاته ... فإن هذا علم مطلوب لذاته.[٤]

من هنا يتضح لنا أن رشيد رضا يؤكد على أهمية العلم بصفات الله تعالى؛ حيث راح يؤكد على أن أسمى ما يجنيه المرء من معارف في هذه الدنيا يكمن في معرفته لصفات خالقه ومولاه، ويشير إلى أن محور الكمال الإنساني إنما يتأتى عن طريق التعرف على صفات الله، ويُضيف إلى أن الحكماء من العلماء قد فطنوا إلى ذلك الأمر، ويضرب مثالا لهؤلاء العلماء الذين فطنوا لذلك الأمر بـ"أبي حامد الغزالي(٥٠٥-٤٥٠هـ)".

هذا عن أهمية العلم بالصفات الإلهية عند رشيد رضا، وأما عن فائدة العلم بالصفات الإلهية نجد رشيد رضا ذهب إلى القول: "والذي يجب ألا يُختلف فيه هو أن هذه الآيات- التي تخص الصفات الإلهية- ما أُنزلت عبثًا بل جاءت على أساليب لسان العرب حسبكم من فائدتها أنها تفيض على الأرواح من خشية الله وقوة الإيمان بعظمته وسلطانه ما يطهرها من الرجس، ويجذبها إلى عالم القدس، ويبغض إليها الرذائل، ويحبب إليها الفضائل تقربًا إلى الله تعالى وطلبا لما عنده".(٥)

من خلال هذا النص يتضح لنا مكانة وأهمية العلم بصفات الله تعالى وفائدته عند "رشيد رضا"، حيث ذهب إلى أنه بكفينا من فوائد المعرفة بصفات الله أن هذه المعرفة تفيض على أرواحنا الخشية من الله وقوة الإيمان بعظمته وتحقيق معنى العبودية الكامل له سبحانه جل في علاه من خلال التقرب إليه وطلباً لما عنده جل شأنه.

وهنا نلمح في عبارات رشيد رضا اقتفائه آثار السلف في بيان أهمية العلم بصفات الله تعالى وفائدته، وهذا ما أشار إليه جمعٌ كبير من السلف في مصنفاتهم ومن هؤلاء السلف شيخ الإسلام ابن تيمية- وقد تأثر به رشيد رضا كثيرا بعد ما اطلع على مصنفاته-؛ حيث وضّح في العديد من مؤلفاته على أهمية العلم بصفات الله تعالى، وأن علم الأسماء والصفات هو أصل الدين وسر العبودية، وفي هذا الصدد يقول ابن تيمية: "فإن معرفة هذا -يقصد العلم بصفات الله تعالى- أصل الدين وأساس الهداية وأفضل ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول".(٦)

وإلى نفس هذا المعنى ذهب تلميذه "ابن القيم"(٧٥١-٦٩١) إلى القول: "اعلم أن سر العبودية وغايتها وحكمتها إنما يطّلع عليها من عرف صفات الرب - عز وجل- ولم يعطلها".(٧) ويستطرد ابن القيم موضحا أنه إذا كان العلم بالله تعالى هو أشرف علوم الخلق فإن "أعظم العلم به سبحانه هو العلم بأسمائه وصفاته وأن معرفة صفات الله هو قطب السعادة ومدار النجاح والفلاح".(٨)

ولقد أشار في موضع آخر أن باب الصفات "إنما يدخل منه خواص عباده وأوليائه فعمدة إيمانهم محبة تنشأ من معرفة الكمال ومطالعة الأسماء والصفات."[٩]

وجاء في شرح الطحاوية في أهمية العلم بصفات الله تعالى أنه "لاحياه للقلُوب، ولا نعِيم ولا طمأنِينة، إلا بأن تعرف ربها ومعبوُدها وفاطرها بأسمائه وصفاته".[١٠]

وقد ذهب "العز ابن عبد السلام" (٦٦٠-٥٧٧هـ)في بيان أهمية العلم بصفات الله تعالى إلى القول: "اعلم أن معرفة الذات والصفات مُثمرة لجميع الخيرات العاجلة والآجلة، ومعرفة كل صفة من الصفات يُثمر حالًا عليه أثر وأقوال سنية وأفعال رضية".[١١]

نخلُص من هذه النصوص إلى مدى أهمية العلم بصفات الله عند السلف، وحرصهم على بيان أن التعرف على صفات الله هو الطريق الذي يصل به المرء إلى النجاة والفلاح في الدارين؛ لأنه كلما ازداد العبد معرفة بصفات الله زادت خشيته له سبحانه، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}(فاطر:٢٨) هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يمكن القول: إنه إذا كان شرف العلم من شرف المعلوم فإن أشرف العلوم قاطبة هو العلم بالله وبصفاته العُلى.

ثانياً- منهج رشيد رضا في فهّم الصفات وأثر السلف عليه:

قبل أن نتطرق في بيان منهج رشيد رضا في فهّم الصفات نعرض أولا لمنهج السلف في معالجة للصفات الإلهية حتى يتسنى لنا الوقوف على أثر السلف على منهج رشيد رضا في فهمه للصفات، وفي هذا الصدد يقول أبي عثمان الصابوني(٤٤٩-٣٧٣هـ) في كتابه عقيدة السلف وأهل الحديث: "أصحاب

الحديث... يُثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه."(١٢)

وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام "ابن تيمية"؛ حيث رأى أن منهج السلف في الصفات هو "أن يَوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله نفيًا وإثباتًا، فُيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه ... فالله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصل ونفي مُجمل فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل".(١٣)

من هذا يتضح لنا أن شيخ الإسلام "ابن تيمية" راح يؤكد على أن منهج السلف في الصفات الإلهية هو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الصفات ومعانيها من غير تمثيل وتنزيهًا من غير تعطيل.

وفي هذا الصدد يقول "ابن القيم": " قد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيمانًا، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم ".(١٤)

وهذا يؤكد لنا التزام السلف رحمهم الله بما ألزمهم الله سبحانه وتعالى وما أمرهم به رسوله صلى الله عليه وسلم, من الاعتماد على القرآن والسنة في سائر شؤونهم وتأتي قضية الصفات الإلهية في صدارة القضايا التي التزم فيها السلف بالنص الشرعي،من كتاب وسنة، فما ورد فيه نص شرعي صحيح عن الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أخذوا به على ظاهره، فهم يجعلون النقل دائمًا في الصدارة في الحكم على الأمور العقدية، بيد أنهم لا يرون وجود تعارض بين النص الشرعي وبين العقل ذو الفطرة السليمة، وإن وجد هذا التعارض، فالمُتصدر في هذه الحالة حسب منهجهم هو النقل، وهنا يكون دور العقل مُجرد شارح لما جاء به ظاهر النص الشرعي، وفهم المقصود منه.

وسوف نجد ما يؤكد التزامهم بظاهر النص من كتاب وسنة، من خلال بيان منهجهم في معالجتهم للصفات، وتتضح قواعد هذا المنهج جليا من خلال النظر في كتبهم المصنفة.(*)حيث يُلاحظ الناظر فيها أن السلف أثبتوا كل ما ورد في كتاب الله عز وجل من صفاته وما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، دون ثمة تشبيه أو تأويل وإنما تقبلوا الصفات على ظاهرها، إذن فلا يصح وفق منهج السلف" أن يتحكم العقل في قبول ظاهر النص، وتأويله ليكون موافقًا لتوجه العقل."(١٥)

وقد ثبت عنهم الكثير من الروايات التي توضح موقفهم ومنهجهم في صفات الله عز وجل. ومن هذه الروايات ومنها، ما قاله الوليد بن مسلم (١١٩-١٩٥هـ) :" سألت الأوزاعي ومالكا وسفيان وليثًا عن هذه الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا : أمروها بلا كيف ".وقيل لسفيان بن عيينة (١٩٨-١٠٧) :هذه الأحاديث التي تروى في الصفات فقال :" حق على ما سمعناها ممن نثق به ونرضاه نمرها كما جاءت بلا كيف ".(١٦)

من هنا يتضح أن منهج السلف في الصفات قائم على الالتزام بظاهر النص من كتاب وسنة دون ثمة تشبيه ولا تكييف، ومن هنا يُمكننا أن نحدد الأسس المنهجية في معالجة السلف للصفات الإلهية من خلال هذه القواعد :

القاعدة الأولى : الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله تعالى نفيًا وإثباتًا على الحقيقة لا على المجاز.

القاعدة الثانية : نفي المماثلة بين الخالق والمخلوق في الصفات.(التنزيه).

القاعدة الثالثة : قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الباري جل وعلا بالصفات (عدم تأويل النقل أي تفويض الكيفية على أن التفويض إنما هو في الكيفية وليس في المعنى).

القاعدة الرابعة: تقديم النقل على العقل. (١٧)

هذه هي القواعد المنهجية في معالجة السلف للصفات الإلهية، وهنا نود أن نشير إلى مجموعة من النقاط:

النقطة الأولى أن السلف المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام في الصفات الإلهية" عجزا عنه ولا انقطاعا دونه، وقد كانوا ذوي عقول وافرة، وأفهام ثاقبة، وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لما هداهم الله من توفيقه فروأ أن فيما عندهم من علم الكتاب وحكمته، وتوقيف السنه وبيانها غناء ومندوحة عمّا سواهما".(١٨)

مع الوضع في الاعتبار أن عدم العلم بكيفية الصفات لا يعني نفيها أو القدح في الإيمان بها وإثباتها.لأن الله عز وجل أخبرنا في كتابه أو على لسان رسوله بالصفة ولم يخبرنا بالكيفية وطلب منا الإيمان بها ولا اشكالية في ذلك لأن هناك مخلوقات عديدة نؤمن بها من مخلوقات البارئ عز وجل ونحن لا ندرك كيفيتها، وأقرب مثال على ذلك هذه الروح التي يضمها الإنسان بين جنباته وبالرغم عن ذلك فالإنسان عاجز عن معرفة كنهها وحقيقتها مع أنه على يقين بوجودها، وقد أخبرنا الله بها في قوله:{وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ومَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} فأخبرنا عن الروح ولم يعطنا عن كيفيتها علما فنحن نؤمن بها بدون أن نعرف كيفيتها.

وهذا لا يقدح في إيماننا بها، ولله المثل الأعلى فجهلنا بكيفية صفات الله لا ينفيها ولا يقدح في إيماننا بها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن من خاض في كيفية صفات الله فقد افترى على الله عز وجل، وذلك من منطلق أن الله جل شأنه أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفيتها فبالتالي من كيّف صفات الله فقد افترى على الله عز وجل. وهنا يقول ابن القيم عن جمع كبير من السلف" إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه".(١٩)

ومن هنا فإن السلف كما يقول البعض إنما يقدمون الأدلة النقلية على الأدلة العقلية إيمانا منهم بأن الله أرسل الرسل، وأنزل عليهم الكتب من عنده، وكلفهم ببيان ما يحتاج إلى البيان "لأمر له شأنه" وهو أن ما جاء في هذه الكتب وبلغته الرسل يغني عن كل شيء وأما غيره فلا يغني عنه. هذه النقطة هي" سر المسألة في الصفات الإلهية."(٢٠)

أما عن النقطة الثانية فيتضح لنا من خلال ما أفردناه حول مسألة الصفات في الفكر الفلسفي الإسلامي ومن خلال عرضنا لمعالجة السلف لقضية الصفات الإلهية أن منهج السلف كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وسط" بين التعطيل(*) وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فيعطلون أسمائه الحسنى وصفاته العلى ويحرفون الكلم عن مواضعه ".(٢١)

أما عن النقطة الأخيرة فتكمن في أن المدرسة السلفية بقيت دون منهج يجمعها حتى جاء ابن تيمية، في القرن الثامن الهجري، فنسّق منهجهم، ووضع له أسسه وقواعده ولذلك قيل عنه :ترجمان السلف.(٢٢) وهذا المنهج الذي ضمنّه ابن تيميه في مؤلفاته والتي اطلع عليها رشيد رضا كان له عظيم الأثر في نزعته السلفية حيال قضية الصفات الإلهية.

وسنقوم الآن في بيان هذه النزعة من خلال عرضنا لموقف رشيد رضا من معالجة السلف للصفات الإلهية على النحو الذي أفردناه آنفا، وقبل أن نتطرق لهذا الموقف نعرض أولا مفهوم مذهب السلف عند رشيد رضا، وفي هذا الصدد يقول" المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم أئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة وعُرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رمي بالبدعة أو شهر

بقلب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والجبرية والجهمية والمعتزلة."(٢٣)

من سياق هذا النص يتضح لنا أن رشيد رضا يُعرف مذهب السلف بإنهم أولئك القوم الذين يقتفون في عقيدتهم آثار الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان هؤلاء القوم أصحاب القلوب السليمة الخالية من البدع على خلاف الفرق الأخرى – كما يقول رشيد رضا– أصحاب القلوب المريضة المليئة بالبدع كالخوارج والروافض والقدرية والجبرية والجهمية والمعتزلة.

وفي موضع آخر يُعرف رشيد رضا السلف بإنهم" من يتبعون في آيات الصفات التفويض."(٢٤) من خلال هذا النص يتضح لنا أن رشيد رضا يُعرف السلف بأنهم من يُثبتون الصفات للذات الإلهية ويُفوضون كنهها أو كيفياتها.

وبعد أن قام رشيد رضا بوضع تعريف لمذهب السلف راح يُثني عليه قائلًا" فهو المذهب المأثور والحق الثابت المشهور لسائر أئمة الدين وأعيان الأمة المُقدمين .... مذهب السلف هو المذهب المنصور وأهله هم الفرقة الناجية... فمن المُحال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقول بعض من لا تحقيق لديه ممن لا يُقدر قدر السلف ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين حق المعرفة المأمور بها ".(٢٥)

من خلال هذا يتضح لنا أن رشيد رضا يرى أن منهج السلف في التعامل مع الصفات الإلهية هو الحق البيّن الثابت وهو منهج الأئمة الثقات. ويشير إلى أن مذهب السلف هو المذهب المنصور وأنصاره هم الفرقة الناجية الفائزة بكل مكرُمة الراجية لشفاعة النبي وورود حوضه صلى الله عليه وسلم ويؤكد رشيد رضا على أنه من المستحيل أن يكون الخلف أعلم من السلف ومن لايعرف قدر السلف فما عرف الله تعالى ولا رسوله.

وقد أرجع رشيد رضا نسب مذهب السلف إلى الإمام أحمد بن حنبل وفي هذا الصدد يقول" سيدنا وقدوتنا الأمام المُبجل والحبر البحر المُفضل أبو عبد الله الأمام أحمد بن محمد بن حنبل نُسب مذهب السلف إليه."(٢٦)

هذا عن مفهوم مذهب السلف ونسبه عند محمد رشيد رضا والآن ننتقل لبيان موقفه من معالجة السلف لقضية الصفات الإلهية وفي هذا الصدد يقول:" اعلم أن ما تلقيناه في كتب العقائد... أن للمسلمين في الآيات والأحاديث المتشابهات في الصفات مذهبين مذهب السلف وهو الإيمان بظاهرها مع تنزيه الله تعالى عمّا يوهم ذلك الظاهر وتفويض الأمر فيه إلى الله تعالى ومذهب الخلف وهو تأويل ما ورد في النصوص في ذلك بحمله على المجاز والكناية ليتفق العقل مع النقل".(٢٧)

من سياق هذا النص يتضح لنا أن رشيد رضا يذهب إلى أن المسلمين قد انقسموا –بناءً على ما تلقوه في كتب العقيدة– تجاه الآيات والأحاديث الواردة في مسألة الصفات الإلهية إلى مذهبين: الأول مذهب السلف ذلك المذهب الذي يؤمن بظاهر هذه الآيات دون ثمة تأويل لها وتفويض كنهها إلى الله سبحانه وتعالى أما عن المذهب الثاني، وهو مذهب الخلف، فهو على خلاف المذهب الأول يرى بتأويل الآيات الواردة في الصفات وحملها على المجاز والكناية.

وبعد هذا التصنيف الذي ساقه رشيد رضا نجده يذهب إلى أن أولئك الذين يرون طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم فهؤلاء كما يقول رشيد رضا "قد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف في الكذب عليهم وضلوا في تصويب طريقة الخلف أعلم وأحكم وهؤلاء إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه وذلك بمنزلة الأميين وأن طريقة الخلف هي استخراج المعاني المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات فهذا

الظن فاسد ... فجمعوا بين باطلين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم".(٢٨)

من سياق هذا النص يتضح لنا أن رشيد رضا يهاجم أولئك الذين يرون أن منهج السلف في مسألة الصفات هو الأسلم وأن منهج الخلف هو الأعلم والأحكم مُشيرا إلى أن رؤيتهم هذه نابعة من جهلهم بمنهج السلف في التعامل مع مسألة الصفات الإلهية حيث أنهم ظنوا أن طريقة السلف في التعامل مع الصفات الإلهية هي مجرد الإيمان والتسليم بها دون فقه وهذا كذب وافتراء منهم على منهج السلف كما يقول رشيد رضا.

ويستطرد رشيد رضا بعد هذا التقسيم الذي ذكره حيال موقف المسلمين تجاه قضية الصفات الإلهية إلى إقراره بمنهج السلف في معالجة الصفات الإلهية وفي هذا الصدد يقول:"....وكنا نظن في أوائل الطلب أن مذهب السلف ضعيف وأنهم لم يؤولوا كما أول الخلف لأنهم لم يبلغوا مبلغهم من العلم ولمّا تغلغلنا في الكلام وظفرنا في الكتب التي تُبين مذهب السلف حق البيان لاسيما كتب "ابن تيمية" علمنا علم اليقين أن مذهب السلف هو الحق الذي ليس وراءه غاية ولا مطلب وأن كل من خالفه فهو ظنون وأوهام لا تُغني من الحق شيئًا."(٢٩)

وإلى نفس هذا المعنى في موافقة رشيد رضا وثنائه على منهج السلف في معالجة الصفات الإلهية ذهب إلى القول في مجلة المنار المجلد الثامن في باب العقائد:" كنا عند ابتداء الاشتغال بعلم الكلام نرى أن كتب الأشاعرة هي وحدها كتب منبع الدين وطريق اليقين ثم اطلعنا على كتب القوم– يقصد كتب السلف– فإذا هي الكتب التي تجلي للمسلمين طريقة السلف المُثلى، وتورد الناس موردهم الأحلى، وإذا بقارئها يشعر ببشاشة الإيمان، ويحس بسريان برد الإيقان."(٣٠)

وهنا يتضح لنا أن رشيد رضا ينقل لنا تجربته في بداية اشتغاله بعلم الكلام كان يرى أن عقيدة الأشاعرة هي جوهر الدين وطريقه القويم غير أنه بعدما أطلع على مصنفات مذهب السلف تبين له أن عقيدة السلف هي العقيدة الصحيحة

المُثلى التي تأخذ بأيدى الناس إلى النبع الصافي، ويستطرد رشيد رضا في التأكيد على أن من يُطالع كتب السلف في مجال العقيدة يشعر بحلاوة الإيمان ويحُس ببرد اليقين.

ثم بعد ذلك نجد رشيد رضا يعقد مقارنة بين من يُطالع كتب السلف وكتب الأشاعرة –فيما يخص باب الصفات– كالذي يمشى على طريق ممهد سوي والذي يسبح في بحر من الاضطرابات والشكوك، وفي هذا الصدد يقول:....وإذا الفرق بينها وبين كتب الأشاعرة كالفرق بين من يمشي على الصراط السوي، ومن يسبح في بحر لُجي، تتدافعه أمواج الشكوك الفلسفية، وتتجاذبه تيارات المباحث النظرية وقد ظهر لي إذ تبينت أن مذهب السلف الصالح أسلم وأعلم وأحكم. "(٣١)

ثم ينتقل "رشيد رضا" بعد اقراره ويقينه بأن منهج السلف في معالجة الصفات الإلهية هو المنهج الحق والأصلح والأسلم والأعلم والأحكم إلى اقتفاء آثار السلف في قواعدهم المنهجية التي ارتكزوا عليها في معالجتهم للصفات الإلهية – والتي آشرنا إليها آنفا– وفي هذا الصدد يقول" ...وأن هذا وغيره مما وصف به نفسه في كتابه، لا ينافي كمال تنزيهه تعالى عمّا لا يليق به من نقائص عباده ولا يقتضي مماثلته لهم... فعليك أن تؤمن بما صح عنهما من اثبات ونفي، من غير زيادة ولا نقص، بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل وليس عليك ولا لك أن تُحكم رأيك وعقلك في كنه ذاته ولا صفاته.... على هذا كان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وعلماء التابعين وأئمة الحديث والفقه قبل ظهور بدعة المُتكلمين".(٣٢)

من خلال هذا النص يتضح لنا متابعة رشيد رضا لمنهج السلف في تقرير مذهبهم تجاه الصفات الإلهية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن رشيد رضا قد أكد على أن طريقة السلف في إثبات الصفات الإلهية مع التنزيه هي الثابتة عقلا ونقلا وفي هذا الصدد يقول" فقاعدة السلف في جميع الصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه في كتابه وعلى

لسان رسوله أن نثبتها له ونمرها كما جاءت مع التنزيه عن صفات الخلق الثابت عقلًا ونقلًا بقوله عز وجل "ليس كمثله شيء" ... فنجمع بذلك بين النقل والعقل ".(٣٣)

من هنا يتضح لنا أن رشيد رضا يُطبق القاعدة الاولى والثانية من قواعد السلف في التعامل مع الصفات الإلهية وهما: الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله تعالى نفيًا وإثباتًا ونفي المماثلة بين الخالق والمخلوق في الصفات.

وفي موضع آخر يشير رشيد رضا على أن طريقة السلف في إثبات الصفات الإلهية هي الطريقة المُثلى التي تجمع بين النقل والعقل وفي هذا الصدد يقول" وإنما الطريقة المُثلى في الجمع بين العقل والنقل في الصفات أن يُقال إنه قد ثبت بهما أن الله ليس كمثله شيء.... فنحن نتخذ قوله تعالى(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) قاعدة ومرآة لفهم جميع ما وصف الله به تعالى نفسه وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وهو أنه ليس كمثله شيء".(٣٤)

وهنا يتضح لنا أن رشيد رضا يؤكد على أن منهج السلف في معالجة الصفات قد جمع بين العقل والنقل وأنه لا تعارض بينهما وهنا نجد تأثر رشيد رضا بشيخ الإسلام "ابن تيمية" حيث أن شيخ الإسلام قد فصل القول في هذه المسألة في كتابه درء تعارض العقل والنقل.(٣٥)

ثالثاً- النزعة السلفية في تقسيم "رشيد رضا" للصفات الإلهية:

قبل أن نخوض في بيان تقسيم "رشيد رضا" للصفات الإلهية نود أن نشير في عجالة إلى تقسيم الصفات الإلهية عند السلف حتى يتسنى لنا الوقوف على النزعة السلفية عند رشيد رضا في تقسيمه للصفات وفي هذا الصدد يمكن القول على الرغم من كثرة الصفات الإلهية التي وردت في القران الكريم أو جاءت في السنة النبوية المطهرة، فإن السلف قاموا بتقسيم الصفات الإلهية إلى قسمين:(٣٦)

أولا الصفات الذاتية، وهي الصفات التي لا يُتصور وجود الذات بدونها،أو هي ما ترجع إلى نفس الذات ولا تنفك عنها :كالحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والكلام وغيرها، وضابطها: كل صفة لم يزل الله ولا يزال متصفًا بها، فإنها من الصفات الذاتية؛ لملازمتها للذات وهذه الصفات إمّا أن تكون عقلية، وهي التي يمكن إدراكها بالعقل مثل: العلم والقدرة، والإرادة، وإما أن تكون خبرية، وهي الصفات التي لو لم يرد بها الشرع، لما كان العقل مدركًا لها. وضابطها: هي التي نعتمد فيها على مجرد الخبر، وليست من المعاني المعقولة، بل هي من الأمور المدركة بالسمع المجرد فقط، مثل الوجه واليدين والقدم وغيرها.

ثانيا الصفات الفعلية: وهي الصفات المتعلقة بالقدرة والإرادة، إن شاء الله فعلها، وإن لم يشأ لم يفعلها، وضابطها: كل صفة تتعلق بمشيئة، يفعلها الله حيث اقتضتها حكمته، فإنها من الصفات الفعلية، وهذه الصفات كذلك إما أن تكون عقلية، مثل: الإحياء، والإرزاق وإما أن تكون خبرية أي لولا ورودها في الخبر، لم يصل إليها العقل، مثل: الاستواء، والنزول، والغضب، والرضا.

أما صفة الكلام فلقد ذهب السلف إلى أنها من صفات الذات باعتبار أصل الصفة، ومن صفات الأفعال باعتبار أنواع الكلام وأفراده، فهم يذهبون إلى أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء، وما تكلم به فهو قائم به، ليس مخلوقًا منفصلًا عنه، فكلام الله تعالى مُنزل غير مخلوق.[٣٧]

هذا باختصار عن تقسيم الصفات عند السلف والآن نقوم ببيان تقسيم رشيد رضا للصفات الإلهية للوقوف على نزعته السلفية حيال هذا التقسيم، وفي هذا الصدد يُمكن القول أن رشيد رضا قد اقتفى آثار السلف في تقسيمهم للصفات ويتضح ذلك جليا من خلال ما ذكره في تفسيره لسورة الفاتحة حيث ذهب الى القول "وأما دلالة صفتي الربوبية والرحمة على جميع معاني صفات الأفعال الإلهية فظاهر فإن رب العباد هو الذي يُسدي إليهم كل ما يتعلق بخلقهم ورزقهم وتدبير شئونهم

....إذا علمنا هذا تجلت لنا حكمة وصف الله تعالى في أول فاتحة الكتاب العزيز بالربوبية والرحمة الدالتين على جميع صفات الأفعال دون الحياة والقيومية الدالتين على صفات الذات".(٣٨)

وتجدر الإشارة إلى أن رشيد رضا قد رأى أن ذلك التقسيم الذي وضعه السلف للصفات الإلهية هو الأسلم والأعلم ولذا اختاره وفي هذا الصدد يقول "وإنما نختار طريقة السلف الصالحين فهي باتفاق الخلف أسلم وأحكم ونقول أيضا أنها أعلم".(٣٩)

ولا يكتفي رشيد رضا بالثناء على ذلك التقسيم الذي وضعه السلف للصفات الإلهية وإنما يرى أن ما دون ذلك من تقسيمات كثيرة للصفات وضعها المتكلمون ما أنزل الله بها من سلطان، وفي هذا الصدد يقول عن هذا التقسيم الذي وضعه المتكلمون "يقسمون الصفات إلى صفات ذات وصفات أفعال ويقسمونها باعتبار آخر إلى محكمات ومتشابهات ويقسمون صفات الذات إلى نفسية ومعاني معنوية وقالوا أن الوجود هو الصفة النفسية وأنه لا صفة نفسية سواه.... على أن هذا الاصطلاح ما أنزل الله به من سلطان ولم يقم عليه في العقل حجة ولا برهان" .(٤٠)

وفي موضع آخر يؤكد رشيد رضا أن هذا التقسيم الذي وضعه المتكلمون للصفات يتوهم البعض أنه يعطي الباحث بصيره بيد أنه في رأي رشيد رضا يجعل الباحث أكثر تخبطا في مجال العقيدة، وفي هذا الصدد يقول رشيد رضا: "كثيرين يتوهمون أن هذه الاصطلاحات في علم العقائد تعطي الباحث بصيرة وتكون أعون له على الفهم وأقرب إلى البصيره والبرهان وأننا نعتقد اعتقادًا يويده الاختبار والمشاهدة أن الذين يأخذون عقيدتهم من هذه الاصطلاحات أكثرهم يتخبط في ظلمات الحيره".(٤١)

من جملة النصوص السابقة يتضح لنا وبصورة جليه النزعة السلفية عند رشيد رضا في تقسيمه للصفات الإلهيه على غرار ذلك التقسيم الذي وضعه السلف

ويمكننا أيضا تلمس هذه النزعة السلفية عند رشيد رضا من خلال بيان منهجه في إثبات الصفات الإلهية.

وقبل أن نتطرق في عرض ثبوت الصفات الإلهية عنده نود أن نلقي الضوء في عجالة أولا على منهج إثبات الصفات عند السلف حتي يتسنى لنا الوقوف على نزعة رشيد رضا السلفية في اثباته للصفات الإلهية.

وفي هذا الصدد يمكن القول أن السلف قد وضعوا ركيزة أسسوا عليها منهجهم في إثبات الصفات، هذه الركيزة تتمثل في أنه من الواجب علينا في إثبات الصفات الإلهية البُعد عن محذورين كبيرين هما التمثيل بخلقه وكيفية صفاته ". (٤٢)

ومن هنا يتضح أن منهج السلف في إثبات الصفات هو الإيمان بهذه الصفات على ظاهرها ولا يؤولونها كما فعلت المدرسة العقلية والكلامية. فهم يأخذون بالمعنى الظاهر من النص لهذه الصفات الخبرية.

هذا باختصار عن منهج السلف في إثبات الصفات الإلهية وقد قرر رشيد رضا هذا المنهج في إثبات الصفات الإلهية وفي هذا الصدد يقول "أن صفات الربوبية منها ما يُعرف بالنظر والاستدلال كعلمه تعالى وقدرته ومشيئته وحكمته ومنها ما لا يُعرف به بل يتوقف على الوحي وخبر المعصوم عنه".(٤٣)

من خلال هذا النص يتضح لنا أن رشيد رضا قد حدد طريقة إثبات الصفات وإنها إما بالوحي (القرآن والسنة) أو بالنظر والاستدلال عن طريق العقل وهذه هي طريقة السلف في إثبات الصفات كما أفردنا أنفا.

رابعاً- النزعة السلفية في شرح "رشيد رضا" للصفات الذاتية:

لقد أفرد رشيد رضا في مؤلفاته العديد من الصفات الإلهية-بشقيها الذاتية والفعلية-ويطول بنا المقام لو عرضنا كل الصفات الإلهية التي أوردها في مؤلفاته،

لذا سنقوم في هذا المحور بعرض نموذجين من الصفات الذاتية التي عرضها رشيد رضا في مؤلفاته لاسيما الصفات التي كانت وما زالت مثارا للخلاف بين السلف ومن سار على نهجهم وبعض الفرق الكلامية الأخرى كالمعتزلة والجهمية، ونظرا لطبيعة هذا البحث سنُسلط الضوء في عجالة حول موقف السلف من هذين النموذجين للصفات الذاتية حتى يتسنى لنا الوقوف على نزعته السلفية في عرضه لهذه الصفات الذاتية.

وقبل أن نخوض في ذلك نعرض أولا لمفهوم الصفات الذاتية عنده وفي هذا الصدد يقول رشيد رضا "ما له مبدأ خاص في النفس واستقرار فيها جدير بأن يُسمى صفة ذاتية".(٤٤) من هذا يتضح أن رشيد رضا وضع مفهومًا للصفات الذاتية على غرار مفهوم السلف حيث ذهب إلى أن الصفات الذاتية هي ما ترجع إلى نفس الذات ولا تنفك عنها أو هي الصفات التي لا يُتصور وجود الذات بدونها.

صفة السمع والبصر:

لقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي أثبتت صفتي السمع والبصر لله جل شأنه ومنها على سبيل المثال قوله تعالى(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِير) (المجادلة :١) وقوله تعالى(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(الشورى :١١) وقوله تعالى(أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم)(الزخرف:٨٠)،وقوله تعالى(إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)(غافر٤٤)

وكذلك ورد في السنة النبوية عدد من الأحاديث التي أثبت صفتي السمع والبصر لله جل شأنه ففِي صحيح الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ:{وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}،عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(أربِعُو على أنفُسكم، فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائبًا تدعون سميعا بصيرا) وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، فأنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي

تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا}[٤٥] هذه كانت أمثلة من النقل(القرآن والسنة) على ثبوت صفتي السمع والبصر للذات الإلهية.

ولقد أثبت السلف رضوان الله عليهم هاتين الصفتين للذات الإلهية، فالذي عليه السلف كما هو مُدون في مصنفاتهم[*] أن السمع والبصر من الصفات الذاتية لله تعالى؛ فهو جل شأنه يسمع الصوت عند وقوعه ويعلم به قبل وقوعه ،ويرى الشيء عند وجوده، ويعلم به قبل وجوده فمعنى كونه تعالى سميعًا بصيرًا أنّ جميع المخلوقات التي يصحّ أنّها تُسمع سبحانه وتعالى سميعا بها وجميع المخلوقات التي يصحّ أنّها تُبصر جل شأنه بصيرًا بها،وكيف لا وهذه المسموعات وتلك االمُبصرات من مخلوقاته جلّ في علاه !!

يقول شيخ الإسلام "ابن تيمية" "وقد دل الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة ودلائل العقل على أنه سميع بصير، والسمع والبصر لا يتعلق بالمعدوم، فإذا خلق الأشياء رآها سبحانه، وإذا دعاه عباده سمع دعاءهم وسمع نجواهم." [٤٦]

وطبقا لمنهج السلف فإن أصل الصفتين القدم لأن الصفات لا تنفك عن الذات؛ فلم يزل الله سميعا بصيرا. والواجب طبقا لهذا المنهج "الوقوفُ عند حدِّ الوحي وما نطق به، دون تدقيقٍ أو تكلُّفٍ في الفهم "فيُثبتون لله السمع والبصر بلا تكييف كما أثبته لنفسه فيما أنزل من كتابه وأثبته له الرسول صلى الله عليه وسلم".[٤٧]

من هنا يتضح لنا القاعدة الأولى من قواعد المنهج السلفي والتي أشرنا إليها آنفا في معالجة السلف للصفات الإلهية وهي الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله تعالى نفيًا وإثباتًا على الحقيقة لا على المجاز فهم يُثبتون لله السمع والبصر كما أثبته لنفسه جل في علاه مع الوضع في الاعتبار أن سمع وبصر الخالق جل شأنه وتبارك اسمه يختلف عن سمع وبصر المخلوقين وهذه هي

القاعدة الثانية من قواعد المنهج السلفي والتي تتمثل في نفي المماثلة بين الخالق والمخلوق في الصفات(التنزيه).

هذا باختصار عن موقف السلف تجاه صفتي السمع والبصر للذات الإلهية، وإذا انتقلنا الآن إلى رشيد رضا لمعرفة موقفه حيال صفتي السمع والبصر نجده في هذا الصدد يستهل حديثه بالقول: "الواجب اعتقاده هو الوقوف عند ما جاء في الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة وهو أن الله تبارك وتعالى سميع لأقوال العباد بصير بإعمالهم وأحوالهم من غير بحث في كنه هذا السمع وهذا البصر وكيف يحصلان".(٤٨)

من خلال هذا النص يتضح أن رشيد رضا يؤكد على أنه من الواجب على المرء في هذا الباب الوقوف عند ما جاء في الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة من التسليم بأن لله سمعًا وبصرًا دون البحث في كيفية هذا السمع وذلك البصر.

وبعد إثبات رشيد رضا لصفتي السمع والبصر للذات الإلهية على غرار منهج السلف في إثبات السمع والبصر لله بلا تكييف كما أثبته لنفسه فيما أنزل من كتابه وأثبته له الرسول صلى الله عليه وسلم راح يؤكد على القاعدة الثانية من قواعد المنهج السلفي والتي تتمثل في نفي المماثلة بين الخالق والمخلوق في الصفات وهي تنزيه الله سبحانه وتعالي عن سمع وبصر المخلوقات.

وفي هذا الصدد ذهب إلى القول:" .... أنه سميع بسمع ليس كمثل أسماع المخلوقين، وبصير ببصر ليس كبصرهم ".(٤٩)

ويستطرد "رشيد رضا" في بيان نزعته السلفية من خلال تأكيده على أن اعتقاد السلف حيال صفتي السمع والبصر هو الأسهل فهمه وتقبله سواءً بالنسبة للرجل العامي أو الرجل الحكيم بخلاف هذه التحليلات الغير مفهومة التي وضعتها

بعض الفرق الكلامية تجاه هاتين الصفتين هذه التحليلات التي يصعُب فهمها على العوام وتكون مثارًا للشبهات عند الخواص.

وفي هذا الصدد ذهب إلى القول:" بأن الله تعالى عندما أخبرنا بسمعه وبصره ابتدأ بتنزيهه عن مشابهة أي شئ من الأشياء فقال عز من قائل(ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) وهذا الاعتقاد يسهل فهمه وقبوله على الجهول والعليم والعامي البليد والفيلسوف الحكيم، وأما تلك التحليلات والتعميقات فإنها تتعاصى على أفهام العامة وتكون مثار الشبهات عند الخاصة ولا يليق هذا بدين الفطرة والحنيفية السمحة ".(٥٠)

واقتفاءًا أيضا لآثار السلف نجد "رشيد رضا" يؤكد على أن أصل هاتين الصفتين القدم فنجده عند تفسيره لقوله عز وجل (وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) يقول:" أي كان السمع والعلم ولا يزالان من صفاته الثابتة فلا يفوته تعالى قول من أقوال من يجهر بالسوء، ولا يعزب عن علمه السبب الباعث له عليه لأنه لا يخفى عليه شيء من أقوال العباد ولا من أفعالهم ولا نياتهم فيها".(٥١)

وختاما يرى رشيد رضا أن تقرير منهج واعتقاد السلف تجاه هاتين الصفتين له ثمار عديدة داخل نفوس وقلوب العباد ومن أهم هذه الثمار التي يجنيها العبد من اقتفاء آثار السلف بخصوص هاتين الصفتين الحياء من الله تعالى الذي يُبصر أفعال عباده ويسمع سرهم ونجواهم، وفي هذا الصدد يقول رشيد رضا: "من أراد أن يُطيل الكلام في مثل هذا المقام-يقصد صفتي السمع والبصر للذات الإلهية- فالأولى له أن يستعين بهذا الاعتقاد-اعتقاد السلف- على إنذار الغافلين من العباد فيستثير العبرة من أعماق القلوب ويستنزل العبرة من سماء العيون وينبه النفوس إلى الحياء من الله تعالى أن يراها حيث نهاها فيكون عندها أهون الناظرين وأن يسمع منها ما لا يرضاه فإنه لا يحب الجهر بالسوء من القول ".(٥٢)

صفة الرؤية :

تُعد صفة رؤية الله تعالى من أهم الصفات التي كانت مثارا للخلاف بين السلف والفرق الكلامية، لذا قبل أن نتطرق في معالجة رشيد رضا لهذه الصفة وبيان موقفه نود أن نستهل الكلام في رؤية الله تعالى، إلى بيان أن هناك من الفرق الكلامية كالمعتزلة والجهمية ومن تبعهم ذهبوا إلى أن رؤية الله تعالى بالعين الإنسانية مستحيلة وممتنعة فالله طبقا لمنهجهم لا يُرى بالإبصار في الدنيا ولا في الآخرة ولا يجوز ذلك عليه تعالى، وأما الاشعرية فإنهم يُثبتون الرؤية بالإبصار في الآخرة ولكن دون مقابلة.(٥٣) بيد أن سلف هذه الأمة وأئمتها قد أثبتوا الرؤية لله تعالى عن طريق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومنعوا العقل من الخوض في تفصيلات هذه الرؤية، فآمنوا بالنقل ولم يُطلقوا للعقل العنان في كيفية هذه الرؤية، ونظرًا لطبيعة وأهداف هذا البحث سنُفرد الحديث باختصار حول معالجة السلف لمسألة الرؤية الإلهية حتى يتسنى لنا الوقوف على نزعة "رشيد رضا" السلفية بخصوص هذه المسألة وفي هذا الصدد يمكننا القول :

لقد ذهب سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين لهم ومن سلك منهجهم من الأئمة أن الله يُرى في الآخرة بالأبصار عيانًا، أي أن المؤمنين سيرونه في الجنة رؤية بصرية، بغير إحاطة ولا كيفية منزها عن صفات المخلوقين، فهم يثبتون رؤية الله بالإبصار(*) وقد استدلوا بالنصوص الكثيرة من كتاب الله وسنة رسولهﷺ ، ومن النصوص التي استدل بها السلف على ثبوت الرؤية قول الله تعالى:(وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)(القيامة : ٢٢، ٢٣) (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (المطففين : ١٥).

أي الكفار محجوبون عن رؤية الله عز وجل، كما فسرها السلف وأئمة السنة.(٥٤)(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وزِيَادَةٌ)(يونس: ٢٦) وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح من تفسيره الزيادة بأنها النظر إلى الله عز وجل وروي ذلك عن الصحابة أبو بكر وحذيفة بن اليمان وابن مسعود وابن عباس.(٥٥)

ومن الأدلة من السنة النبوية التي استند إليها السلف في ثبوت الرؤية قوله صلى الله عليه وسلم "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القمر لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ."(٥٦) وفي صحيح مسلم قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم (إذا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وجَلَّ." وفي رواية : وزاد ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وزِيَادَةٌ).(٥٧)

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا : "يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ : "هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا :" لا يَا رَسُولَ اللَّهِ. "قَالَ :" فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ "قَالُوا :" لا يَا رَسُولَ اللَّهِ. "قَالَ :" فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ. "(٥٨)

ومن أقوال بعض أئمة السلف حول ثبوت الرؤية يوم القيامة(٥٩) ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قيل له كل من يدخل الجنة يرى الله تعالى؟ قال نعم. وقال مالك بن أنس" الناس ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة بأعينهم وقيل أن أحمد بن حنبل بلغه عن رجل أنه قال:" إن الله تعالى لا يُرى في الآخرة "، فغضب غضبا شديدًا ثم قال من قال بأن الله تعالى لا يُرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه، أليس الله عز وجل قال(وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة)، هذا دليل على أن المؤمنين يرون الله تعالى.

هذا عن موقف السلف من مسألة الرؤية الإلهية، وإذا انتقلنا إلى رشيد رضا لمعرفة موقفه من هذه المسألة نجده يستهل حديثه بإفراد القول حول ذلك الخلاف الذي دار بين المُثبتون للرؤية والنافون لها وأدلة كل فريق منهما وفي هذا الصدد يقول" إنما وقع المراء بين المُتكلمين والمُتفلسفين وبين علماء الآثار في كلمة (الرؤية) فأثبتها أهل الأثر لدلالة ظواهر القرآن ونصوص الأحاديث عليها،

ومنعوا قياس رؤية الباري تعالى على رؤية المخلوقات....وقالوا إننا لا نبحث في كيفيتها كما أننا لا نبحث في كيفية ذاته وصفاته تعالى. ونفاها أهل الكلام والفلسفة بناء على قياس الخالق سبحانه وتعالى على المخلوق ودعوى منافاة الرؤية للتنزيه الذي هو أصل العقيدة وركنها الركين."(٦٠)

من هنا يتضح أن رشيد رضا يرى أن الخلاف الذي نشأ بين السلف والمتكلمين تجاه رؤية الله يوم القيامة منبعه أن السلف قبلوا ظاهر الآيات والأحاديث التي تكلمت عن رؤية عباد الله المؤمنين له جل شأنه دون ثمة بحث في كيفية هذه الرؤية بيد أن المُتكلمين نفوا هذه الرؤية من مُنطلق التنزيه الإلهي عن صفات المخلوقين.

وبعد عرض رشيد رضا لموقف المُثبتين والنافيين للرؤية نجده يختار لنفسه موقف السلف المُثبت لرؤية المؤمنين لله يوم القيامة وفي هذا الصدد يقول:" ... ففي الأحاديث المُتفق عليها ما هو نص قاطع لا يحتمل التأويل في الرؤية وتشبيهها برؤية البدر والشمس في الجلاء والظهور وكونها لا مضارّة فيها ولا تضامّ ولا ازدحام وفي كتاب التوحيد من صحيح البخاري أحد عشر حديثا في ذلك ".(٦١)

من خلال هذا النص يتضح تقرير رشيد رضا لمنهج السلف في الرؤية والانتصار له، وانتقاد طريقة مخالفيهم من أصحاب التأويلات.

ويختم رشيد رضا قوله في مسألة الرؤية بهذا الكلام –الذي يعبر أيمّا تعبير عن عمق النزعة السلفية عنده في مسألة الرؤية– الذي عنونه تحت اسم" الكلمة الجامعة الخاتمة في مسألة الرؤية) قال فيها "خلاصة الخلاصة أن رؤية العباد لربهم في الآخرة حق وأنها أعلى وأكمل النعيم الروحاني الذي يرتقي إليه البشر في دار الكرامة والرضوان... وأن هذا مما يدل عليه مذهب السلف الذي عبر بعضهم عنه بأوجز عبارة اتفق عليها جميعهم وهي أنها رؤية بلا كيف." (٦٢)

خامساً- النزعة السلفية في شرح "رشيد رضا" للصفات الفعلية:

إذا كنا قد تطرقنا في المحور السابق لبيان النزعة السلفية في عرض رشيد رضا للصفات الذاتية من خلال نموذجين من هذه الصفات، فإننا في هذا المحور سنُبرز أيضا هذه النزعة في القسم الثاني للصفات (الصفات الفعلية للذات الإلهية). وسنقوم أيضا في هذا المحور بعرض نموذجين من الصفات الفعلية التي عرضها رشيد رضا في مؤلفاته لاسيما الصفات التي كانت مثارا للخلاف بين السلف ومن سار على نهجهم والفرق الكلامية الأخرى وهذا من الأهمية بمكان لمعرفة نزعة رشيد رضا السلفية في عرضه لهذه الصفات الفعلية.

وقبل أن نخوض في ذلك الأمر نود أن نعرض أولا لمفهوم الصفات الفعلية عند "رشيد رضا" وفي هذا الصدد يقول "ما له مبدأ خاص في النفس واستقرار فيها جدير بأن يُسمى صفة ذاتية وما ليس ذلك حقيق بأن يُسمى صفة فعل" .[٦٣]

والآن ننتقل لعرض نموذجين من الصفات الفعلية للذات الإلهية عند رشيد رضا وكعادتنا-نظرا لطبيعة هذا البحث-سنُسلط الضوء في عجالة حول موقف السلف من هذه النماذج حتى يتسنى لنا الوقوف على نزعته السلفية في عرضه لهذه الصفات الفعلية.

صفة الاستواء :

لقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي دلت على استواءُ اللهِ على العرشِ ومنها على سبيل المثال قوله تعالى(الرَّحمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)(طه : ١٥). وقد ورد أيضا في السنة النبوية المطهرة العديد من الأحاديث التي دلت أيضا على استواءُ اللهِ على العرشِ ومنها قوله صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ (إِنَّ اللهَ لَمَّا قضَى الخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي).[٦٤]

وبالرغم من هذه النصوص التي أثبتت صفة الاستواء للذات الإلهية إلا أن هذه الصفة كانت مثارا لخلاف كبير بين السلف والفرق الكلامية الأخرى كالمعتزلة والجهمية، ويطول بنا المقام في سرد هذا الخلاف(*) وما يعنينا هنا هو بيان موقف السلف من صفة الاستواء حتى يتسنى لنا الوقوف على نزعة "رشيد رضا" السلفية في عرضه لهذه الصفة.

وفي هذا الصدد يمكن القول: لقد كان منهج السلف في الاستواء كمنهجهم في سائر صفات الله فهم وسط بين فرقتين هم المُعطلة والمُشبهة فهم لا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، ولا ذاته بذوات خلقه كما فعلت المشبهة وكذلك لا ينفون عن الله ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، كما فعلت المعتزلة أو المُعطلة.

فمنهج السلف كما أشرنا آنفا هو إثبات صفات الله مع نفي مماثلة المخلوقين، إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل كما قال تعالى:{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} ففي قوله تعالى) لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ(رد للتشبيه والتمثيل، وفي قوله {وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} رد للإلحاد والتعطيل.(٦٥)

وبناءًا على هذه القاعدة كان مذهب السلف في صفة الاستواء أنهم يثبتون استواء الله على عرشه استواءًا يليق بجلاله وعظمته، ويناسب كبريائه. فالاستواء صفة ثابتة في القرآن والسنة وقد أجمع سلف الأمة على إثباتها .ومن أشهر أقوال السلف في صفة الاستواء ما نُقل عن "الإمام مالك"(١٧٩-٩٣هـ) حينما سُئل يا "أبا عبد الله" (الرَّحمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)كيف استوى؟ فأطرق مالك وعلاه العرق ورفع رأسه وقال مقولته المشهورة "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وأحسبك رجل سوء وأمر به فأُخرج" .(٦٦) وكذلك عندما سُئل الإمام أحمد بن حنبل عن الاستواء، قال للسائل، قل لي أنت أولًا كيف هو، أقل لك كيف استوى.(٦٧)

هذه كانت وقفة حول مذهب السلف تجاه صفة الاستواء وإذا انتقلنا إلى "رشيد رضا" لمعرفة موقفه من هذه الصفة نجده يؤكد أولا على أن استواء الله جل شأنه على العرش قد نطق به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في أكثر من موضع وفي هذا الصدد يقول رشيد رضا:... "فالاستواء على العرش قد صرح به القرآن الكريم في مواطن يكثُر حصرها، ويطول نشرها، وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في غير حديث".(٦٨)

من خلال هذا النص يتضح أن رشيد رضا يُثبت صفة الاستواء للذات الإلهية –على غرار منهج السلف– من خلال صريح النقل(القرآن والسنة) في مواطن كثيرة على استوائه جل في علاه مؤكدا على أن هذه المواطن ليست بالقليلة.

ويستطرد "رشيد رضا" في أن استوائه جل علاه على العرش أمر فطري عند كل مسلم وفي هذا الصدد يقول ".... هذا ما يجده كل فرد من أفراد المسلمين في نفسه، ويحسه في فطرته، وتجذبه إليه طبيعته، كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه، والتجأ إليه ووجه أدعيته إلى جنابه الرفيع، وعزه المنيع. فإنه يشير عند ذلك بكفه، أو يرمي إلى السماء بطرفه." (٦٩)

وبناءا على ما أشار إليه رشيد رضا من أن استواء الله على العرش أمر فطري داخل كل مسلم نجده يؤكد على أن استواء الله على العرش من المسائل الواضحة التي ليس فيها لبس ولا تحتاج إلى طول شرح، وفي هذا الصدد يقول: "والمسألة أوضح من أن تلتبس على عارف، وأبين من أن يحتاج فيها إلى تطويل، ولكنها لمّا وقعت تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف الإسلامية كثر الكلام في مسألة الاستواء وطال." (٧٠)

وبعد اثبات رشيد رضا استواء الذات الإلهية على العرش وتأكيده على أن استواءه جل علاه على عرشه من المسائل الواضحة الجليه التي ليس بها لبس أو غموض بيد أن ما حدث من خوض بعض المتكلمين في هذه المسألة هو الذي جعل

الكلام يطول فيها دون ثمة مبرر فاستواء الله على عرشه من المسلمات الواضحة كما يرى رشيد رضا.

وبعد ذلك الإثبات نجد رشيد رضا يتطرق إلى بيان منهج السلف بخصوص صفة استواء الله على العرش. وفي هذا الصدد يقول "ومن جملة الصفات التي أمرّها السلف على ظاهرها وأجروها على ما جاء به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل صفة الاستواء... فهم يقولون نحن نُثبت ما أثبته الله لنفسه من استوائه على العرش على هيئة لا يعلمها إلا هو، وفي كيفية لا يدري بها سواه ".(٧١)

ويختم "رشيد رضا" حديثه عن صفة الاستواء بكلام يُشتم منه نزعته السلفية حيث يؤكد على ان طريق النجاه والمنهج القويم في التعامل مع صفة استواء الله على العرش هو ذلك المنهج الذي اختطه السلف. وفي ذلك الصدد يقول: ".....فالسلامة والنجاة في امرار ذلك على الظاهر والإذعان بالاستواء على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تكلف ولا قيل ولا قال، ولا فضول في شئ من المقال، فمن جاوز هذا المقدار بافراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف في طريق النجاة ولا معتصم عن الخطا، ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة".(٧٢)

صفتي الإتيان والمجيء لله عز وجل :

صفتي الإتيان والمجيء من الصفات الثابتة لله عز وجل من الكتاب والسنة، فلقد جاء في مُحكم التنزيل قوله جل علاه(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)(الفجر ٢٢-٢٣) وقوله جل جلاله(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ)(البقرة ٢١٠). وورد في السنة النبوية المُطهرة قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي(إذا تقرب إلى عبدي شبرًا تقربت إليه ذراعًا وإذا تقرب إلى ذراعًا تقربت إليه باعًا وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة).(٧٣)

وبالرغم من صريح هذه الآيات والأحاديث تجاه ثبوت صفتي المجئ والإتيان للذات الإلهية إلا أنه حدث خلاف كبير بين السلف وبعض الفرق الكلامية كالجهمية والمعتزلة تجاه هاتين الصفتين، فقد بالغت هذه الفرق في تأويل هاتين الصفتين وتحريفهما عن ظاهرهما،أما عن الجهمية فقد نفتهما تماما.(٧٤) أما المعتزلة أو المُعطلة فقد أولت المجئ والإتيان بمعنى التدبير والأمر فهم يُفسرون قوله تعالى(و جاء ربك والملك صفا صفا) جاء الملائكة صفًا صفا وربك فيهم مُدبر محكم.(٧٥)

أما عن السلف رحمهم الله فكدأبهم في التعامل مع الصفات الإلهية الواردة في القرآن الكريم أو في السنة النبوية نجدهم يُثبتون صفَتي المجيء والإتيان لله سبحانه وتعالى مِن غير تكييف ولا تمثيل، ومِن غير تحريف ولا تعطيل وهما من الصِّفات الفعليَّة الخبرية كما هو مدون في مصنفاتهم.(*)وفي هذا الصدد يقول أبو الحسن الأشعري(٣٢٤-٢٦٠) "وقد أجمعوا -يقصد السلف – على أنه يجئ عز وجل يوم القيامة لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها.... وليس مجيئه حركة ولا زوالًا ".(٧٦)

من هذا النص يتضح لنا أن أبو الحسن الأشعري يؤكد على أن إجماع السلف على ثبوت صفتي المجئ والإتيان للذات الإلهية بيد أنه يوضح منهج السلف في أن مجيئه ليس كمجيء البشر. هذا باختصار عن موقف السلف وبعض الفرق الكلامية الأخرى حيال صفتي الإتيان والمجيء.

وإذا انتقلنا إلى رشيد رضا لمعرفة معالجته لهاتين الصفتين نجده يستهل حديثه بخصوص هاتين الصفتين بذكر ذلك الخلاف الذي وقع بين السلف والمتكلمين. وفي هذا الصدد يقول "ومن ألفاظ الحديثين التي اضطرب فيها العلماء مسألة الإتيان في الصور المُختلفة وإنكار المؤمنين له في بعضها ومعرفته في

بعض فاختلفوا في تفسيرها وتأويلها... قال بعض المؤولين المراد بإتيانه تعالى رؤيته وقال بعضهم يأتي ملك بأمره لامتحانهم" (٧٧)

وبعد إشارة "رشيد رضا" لذلك الخلاف الذي وقع بين المتكلمين نجده يقول أن الأحرى والأسلم تجاه هاتين الصفتين هو موقف السلف وفي هذا الصدد يقول "...فأولى قول جمهور السلف أنه إتيان يليق به، لا كإتيان الخلق" (٧٨)

وفي موضع آخر تظهر نزعة "رشيد رضا" السلفية في تبنيه لقواعد السلف في التعامل مع الصفات الإلهية من خلال إثباتها بلا كيف ولا شبه وفي هذا الصدد يقول "...بل المراد إتيانه سبحانه وتعالى بغير كيف ولا شبه ولا نظير." (٧٩)

الخاتمة ونتائج البحث

لقد قادنا هذا التحليل للنزعة السلفية في معالجة "محمد رشيد رضا" للصفات الإلهية إلى مجموعة من النتائج يُمكن اجمالها على النحو التالي:

١-عرّف رشيد رضا مذهب السلف بانهم من يتبعون في آيات الصفات مبدأ التفويض، وأن هذا المذهب هو المذهب المنصور وأهله هم الفرقة الناجية وقد أرجع نسب السلف إلى الإمام أحمد بن حنبل.

٢- اقتفى رشيد رضا آثار السلف في بيان أهمية العلم بصفات الله تعالى وفائدته، حيث أكد على أن أفضل ما يجنيه المرء من معارف في هذه الدنيا يكمُن في معرفته لصفات خالقه ومولاه.

٣- إقرار رشيد رضا أن منهج السلف في التعامل مع الصفات الإلهية هو الحق البيّن الثابت وهو منهج الأئمة الثقات وهو الأسلم والأعلم وألاحكم.

٤- تأكيد رشيد رضا أن طريقة السلف في إثبات الصفات الإلهية هي الطريقة الأفضل في الجمع بين النقل والعقل.

٥-اتضح لنا اقتفاء رشيد رضا لآثار السلف في تقسيمهم للصفات إلى ذاتية، وهي الصفات التي ترجع إلى نفس الذات ولا تنفك عنها والصفات الفعلية : وهي الصفات المتعلقة بالقدرة والإرادة، إن شاء الله فعلها، وإن لم يشأ لم يفعلها.

٦- تبين لنا أن "رشيد رضا" أكد على أن الواجب اعتقاده حيال قضية الصفات الإلهية هو منهج السلف هذا المنهج الذي يقف عند ما جاء في الكتاب والسنة مُشيرا إلى أن هذا المنهج هو طريق النجاة.

(*) محمد رشيد بن على رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني، البغدادي الأصل الحسيني النسب صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتاب والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير ولد عام ١٨٦٥في القلمون بطرابلس الشام ونشا وتعلم فيها وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت. ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، وأصبح مرجع الفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة. ولمّا أعلن الدستور العثماني سنة ١٣٢٦هـ زار بلاد الشام، واعترضه في دمشق، وهو يخطب على منبر الجامع الأموي، أحد أعداء الإصلاح، فكانت فتنة، عاد على أثرها إلى مصر. وأنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد) ثم قصد سورية في أيام الملك فيصل بن الحسين، وانتخب رئيسا للمؤتمر السوري، فيها وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها سنة ١٩٢٠م فأقام في وطنه الثاني مصر مدة ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوربا.وعاد فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة في(سيارة) كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة. ودفن بالقاهرة ١٩٣٥ أشهر آثاره مجلة (المنار) أصدر منها ٣٤ مجلدا،و(تفسير القرآن الكريم اثنا عشر مجلدا منه، ولم يكمله)و(تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده و(الوحي المحمدي) و(يسر الإسلام وأصول التشريع العام) و(الخلافة) و(الوهابيون والحجاز) و(محاورات المصلح والمقلد)و(ذكرى المولد النبوي) و(شبهات النصارى وحجج الإسلام). انظر محمد رشيد رضا: المنار والأزهر، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٢هـ،ص١٣٣-١٣٩. وانظر أيضا خير الدين الزركلي:الأعلام، الجزء السادس، دار العلم للملايين بيروت،

لبنان الطبعة الخامسة ،١٩٨٠، ص١٢٦.وانظر أيضا الأمير شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو أخاء أربعين سنة،الطبعة الأولى، مطبعة بن زيدون دمشق،١٩٣٧، ص٢٣ إلي٣٥.

(١) اتظر جولد تسهر: مذاهب التفسير الإسلامي، تقديم عبد الحليم النجار،مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٥٤، ص٣٥١.

(*) المدرسة العقلية الحديثة أو الحركة التنويرية أو النهضة الإصلاحية كل هذه المصطلحات أُطلقت على اتجاه ظهر في البيئة الإسلامية في نهاية القرن الماضي، هذا الاتجاه جعل من العقل المصدر الأول أو الأساس أو المقدم في مصادر المعرفة والدين وتجعل منه مصدرا من مصادر الدين ومحكما في النصوص. لذا يرى البعض أن هذا المدرسة العقلية الحديثة هي امتداد وإحياء لمنهج المعتزلة في الاعتزاز بالعقل وتحكيمه في كل أمور الشريعة ولقد رفعت هذه المدرسة شعار أنه ليس في الإسلام ما لا يُقره العقل. (أنظر ناصر عبد الكريم العقل:الاتجاهات العقلانية، دار الفضيلة ،الرياض، السعودية، الطبعة الأولى،٢٠٠١، ص١٥،١٧) ولقد أسس هذه المدرسة في العصر الحديث السيد جمال الدين الأفغاني، بيد أن الشيخ محمد عبده هو الذي شيد بُنيانها وأقام صروحها، فكان بحق هو إمامها وأستاذها المُخلص ومن أهم أقواله أن القران رفع من شأن العقل ووضعه في مكانه بحيث ينتهي إليه أمر السعادة والتمييز بين الحق والباطل والضار والنافع" (أنظر محمد عبده: رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٤) بل إن الإسلام عنده يعتمد على الدليل العقلي وُيحتج به لا بالمعجزات:- "فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري فلا يدهشك بخارق للعادة ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية ليس هذا فحسب بل يعتقد أن الإيمان بالله لا يؤخذ من الرسول ولا من الكتاب ولا يصح أخذه منهما بل من العقل"وإذا تعارض العقل والنقل عنده فقد "اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل"(انظر محمد عبده: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، دار الحداثة، القاهرة، الطبعة الثالثة،١٩٨٨، ص٦٤) وفي موضع آخر يقول الشيخ محمد عبده "أن العقل هو ينبوع اليقين والإيمان بالله وعلمه وقدرته والتصديق بالرسالة" ويرى الشيخ محمد عبده أن جمود العقيدة يرجع إلى التقليد والنقل من غير تمحيص أو تدليل أو بحث.(أنظر محمد عبده: الإسلام في أوائل القرن العشرين، دار المنظومة، ٢٠١٨، ص٤٦) ومن

أهم تلاميذ الشيخ محمد عبده "محمد رشيد رضا" والذي كان على صلة كبيرة بأستاذه وكثير الثناء عليه وأطلق عليه لقب الأستاذ الإمام ودون سيرته في كتاب عنونه تحت اسم تاريخ الأستاذ الإمام بسط فيه القول حول سيرته الشخصية وقسمه إلى ثلاث مجلدات (أنظر محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام، دار الفضيلة، القاهرة الطبعة الثانية، ٢٠٠٦) وكان رشيد رضا يتمتع بمكانة كبيرة عند أستاذه محمد عبده وليس أدل على ذلك من أنه حينما طُلب من الشيخ محمد عبده إقصاء رشيد رضا قال محمد عبده كيف أرضى بإبعاد صاحب المنار عني وهو ترجمان أفكاري.(أنظر محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، الجزء الأول، دار القلم، دمشق،الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ص٢٤٤.

(*) المدرسة السلفية أو النصّية أو النقلية كل هذه المصطلحات أُطلقت على مدرسة اعتمدت على النقل(الكتاب والسنة) أساساً ومنهجا لفكرها، فما جاء في النقل من اعتقادات التزمت به، وما لم يرد في النقل لم تأخذ به، وجعلت النقل موجها وحاكماً على العقل، وليس مصدراً من مصادر العقيدة كما فعلت المدرسة العقلية وبعبارة أخرى إعطاء مكان الصدارة والأولوية للنص الشرعي المُنزل، والكشف عن مضمونه من واقع الفهم اللغوي للألفاظ، استعانة بالنصوص الشرعية الأخرى المُنزلة، واستعانة بمختلف أصول التفسير. هي المدرسة التي اتخذت النص من كتاب أو سنة منهجاً لتقرير عقائدها، فهم يصدرون عن النص بداية، ويحتكمون إليه نهاية، وهم بشكل عام يمثلون المبدأ العام الذي نادي به الإمام أحمد بن حنبل(التمسك بالنصوص الشرعية وعدم تجاوزها) وينتسب إلى هذه المدرسة قديماً الفقهاء والمحدثون،وقد اشتهرت عن أعيانهم هذه العبارة: إذا صح الحديث فهو مذهبي. وأصبحوا فيما بعد يُطلق عليهم اسم الحنابلة، نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل، الذي عُرف بتمسكه بالنص الشرعي من كتاب وسنة، وعدم أخذه بالمنطق وعلم الكلام.وأصبح أصحاب هذه المدرسة يُطلق عليهم فيما بعد بالسلف، نظراً لقولهم بأنهم يقتدون بمن سبقهم من الصحابة والتابعين، وأنهم يسيرون على نهجهم في الاعتماد على النص الشرعي في الاستدلال على أمور الدين، سواء أكانت عقدية أم عملية. فالمدرسة السلفية هي فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما فهمه الجيل الأول(أنظر الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق وتعليق فوقية حسين، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٩٧٧، ص٩٤. وانظر أيضا حسين جابر بني خالد:الأصول المنهجية في العقيدة عند المدارس الفكرية، المجلة الأردنية، المجلد ١١، العدد٢، ٢٠١٥، ص١٧٧.

(*) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي: زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب ولد ونشأ في العيينة (بنجد) عام ١٧٠٣ورحل مرتين إلى الحجاز، فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض أعلامها وزار الشام ودخل البصرة فأوذي فيها فعاد إلى نجد وكان أبوه قاضيا، نهج منهج السلف الصالح، داعيا إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام. فقصد الدرعية (بنجد) سنة ١١٥٧هـ، فتلقاه أميرها محمد بن سعود بالإكرام، وقبل دعوته وآزره كما آزره من بعده ابنه عبد العزيز ثم سعود بن عبد العزيز، وقاتلوا من خلفه، واتسع نطاق ملكهم فاستولوا على شرق الجزيرة كله، ثم كان لهم جانب عظيم من اليمن.وملكوا مكة والمدينة وقبائل الحجاز وعُرف من والاه وشد أزره في قلب الجزيرة بأهل التوحيد وسماهم خصومهم بالوهابيين (نسبة إليه) وشاعت التسمية الأخيرة عند الأوربيين فدخلت معاجمهم الحديثة، وأخطأ بعضهم فجعلها (مذهبا) جديدا في الإسلام، تبعا لما افتراه خصومه، وكانت وفاته في (الدرعية)عام ١٧٩٢وأحفاده اليوم يعرفون ببيت (الشيخ) ولهم مقام رفيع عند آل سعود.وله مصنفات أكثرها رسائل مطبوعة، منها (كتاب التوحيد) ورسالة (كشف الشبهات) و(تفسير الفاتحة) و(أصول الإيمان) و(تفسير شهادة أن لا إله إلا الله) و(معرفة العبد ربه ودينه ونبيه) و(المسائل التي خالف فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أهل الجاهلية) أكثر من مائة مسألة، و(فضل الإسلام)و(نصيحة المسلمين) و(معنى الكلمة الطيبة) و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) و(مجموعة خطب)و(مفيد المستفيد).انظر الإعلام للزركلي،الجزء السابع، دار العلم للملايين،بيروت،لبنان، ١٩٨٠

وأنظر أيضا محمد بن عبد الله السلمان:رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى،١٩٨٨،ص٤١-٤٥.

(٢) محمد رشيد رضا: تفسير المنار ، الجزء السابع، مطبعة المنار، مصر، ١٣٥٠هـ، ص٥٠٠

(٣) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء الخامس، المجلد التاسع عشر،القاهرة، ١٩١٦، ص٢٨٢.

(٤) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء السابع، ص٥٠٠.

(٥) محمد رشيد رضا: مجلة المنار ، المجلد الأول ، الجزء الثاني، القاهرة، ص٦٠٦.

(٦) "ابن تيمية" :- الفتوى الحموية الكبرى، تحقيق،حمد بن عبد المحسن التوبجري، دار الصميعي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى،١٩٩٨،ص١٩٦.

(٧) ابن القيم: مدارج السالكين، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ص١١٠.

(٨) ابن القيم:- بدائع الفوائد، المجلد الأول، تحقيق على بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، السعودية، ١٤٢٤، ص١٦٤.

(٩) انظر ابن القيم:- طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩.

(١٠) علي بن على بن محمد بن أبي العز الحنفي : شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق أحمد محمد شاكر، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤١٨، ص١٧.

(١١) عز الدين عبد السلام:- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص٢٠.

(١٢) أبي عثمان بن إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني:- عقيدة السلف وأصحاب الحديث أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة، تحقيق ناصر عبدالرحمن بن محمد الجديع، دار العاصمة ، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٩٨، ص٦٣.

(١٣) ابن تيميه: الرسالة التدمرية(تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع) تحقيق د/ محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة السادسة، ٢٠٠٠،ص٦-٨.

(١٤) ابن القيم: أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، المجلد الثاني، دار بن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣،ص٩١.

(*) أنظر في هذا على سبيل المثال لا الحصر:أحمد بن حنبل: أصول السنة، تحقيق عبد الله بن حسن بن الحسين، المطبعة السلفية للنشر،السعودية، ١٣٤٩. والبخاري: خلق أفعال العباد ,تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار عكاظ، جدة، السعودية، الطبعة الثانية،ص٢٩-٤٦. واللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تخريج أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري, المجلد الأول، دار البصيرة، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص١٧٩-١٨٩. وأنظر أيضا ابن منده: الرد على الجهمية، تحقيق على بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤، ص١٤-٢٥. وأنظر أيضا الدارمي: رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد،تحقيق محمد حامد الفقي،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة

الأولى،١٣٥٨.الدارقطني: كتاب النزول وكتاب الصفات، تحقيق على بن محمد بن ناصر الفقيهي، الطبعة الاولى، ١٩٨٣، ص٦٢،٦٣.

(١٥)حسين جابر بني خالد:- الأصول المنهجية في العقيدة عند المدارس الفكرية ص١٧٧.

(١٦) أبي يعلى محمد بن الحسين ابن محمد بن الفراء:- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تحقيق أبي عبدالله محمد بن حمد النجدي، الجزء الأول، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الكويت، ص٤٧-٥٥-١٢٧.

(١٧) أنظر هذه القواعد في الأصبهاني: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة والجماعة ، الجزء الأول، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص٩٠-٩٥. وأنظر أيضا ابن قدامة المقدسي: ذم التأويل، تحقيق بدر بن عبد الله بدر، دار الفتح، الشارقة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤،ص٩. وأنظر أيضا ابن تيمية: التدمرية تحقيق محمد بن عودة السعوي ،ص٤-٥، وأنظر أيضا محمد بن خليفة التميمي: معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، مكتبة أضواء السلف، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، ص٧١.

(١٨) أبي سليمان حمد بن محمد البُستي الخطابي: الغُنية عن الكلام وأهله، دار المنهاج للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٩.

(١٩) أنظر ابن القيم: الصواعق المُرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق على بن محمد الدخيل، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

(٢٠) محمد أمان على الجامي: الصفات الإبهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الأولى،١٤٠٨، ص٨٥.

(*) التعطيل هو نفي للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة، وأما التحريف؛ فهو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليه أنظر ابن تيمية: شرح العقيدة الواسطية، شرح محمد خليل هراس، دار الفوائد، القاهرة، الطبعة الأولى، ص٢٧.

(٢١) ابن تيميه: الفتوى الحموية الكبرى، ص٢٧٢-٢٧٣.

(٢٢) حسين جابر بني خالد:- الأصول المنهجية في العقيدة عند المدارس الفكرية ص١٧٨.

(٢٣) محمد رشيد رضا: مجلة المنار ، الجزء الأول ، المجلد الثامن، القاهرة،١٩٠٥، ص٦١٤

(٢٤) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء الأول ، المجلد الثامن والعشرون ، ص٢٧٠.

(٢٥) نفس المصدر السابق، ص٦١٨.

(٢٦) محمد رشيد رضا: مجلة المنار ، الجزء الأول ، المجلد الثامن، ص٦١٤.

(٢٧) محمد رشيد رضا: تفسير المنار ، الجزء الثالث، ص١٩٦.

(٢٨) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء الأول ، المجلد الثامن، ص٦١٨.

(٢٩) محمد رشيد رضا: تفسير المنار ، الجزء الثالث، ص١٩٧.

(٣٠) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء الأول ، المجلد الثامن، ص٦١٨.

(٣١) نفس المرجع السابق، ص٦١٨.

(٣٢) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة،١٤٠٦،ص٨٤.

(٣٣) محمد رشيد رضا: تفسير المنار ، الجزء الأول، ص٧٧.

(٣٤) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء الأول ، المجلد الثامن والعشرون ، ص٢٧٠-٢٧١.

(٣٥) أنظر ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، الجزء الأول ص٢٨٢-٢٩٢.

(٣٦) أنظر في تقسيم السلف للصفات الإلهية على سبيل المثال ابن القيم: بدائع الفوائد، ص٢٨٠-٢٨١. وأنظر أيضا البيهقي: الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص٢٩-٣٢. وأنظر أيضا محمد بن أحمد بن سالم السفاريني: لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية، تحقيق عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري،الجزء الأول، مكتبة الرشد، الرياض، ص٢٥٩-٢٧٠. وأنظر أيضا محمد أمان على الجامي: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، ص٢٠٦.

(٣٧) ابن تيمية :مجموعة الرسائل والمسائل، الجزء الأول، تخريج وتعليق محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي،ص٢١٤.

(٣٨) محمد رشيد رضا: تفسير المنار ، الجزء الأول، ص٧٥.

(٣٩) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثالث، ص٣٩٩.

(٤٠) نفس المصدر السابق: ص٣٩٨.

(٤١) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثالث، ص٣٩٩.

(٤٢) محمد أمان على الجامي: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، ص٢٠٧.

(٤٣) محمد رشيد رضا: تفسير المنار ، الجزء الأول، ص١٣٥.

(٤٤) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثالث، ص٤٤١.

(٤٥) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، راجعه قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ص٣٨٤.

(*) أنظر في هذا على سبيل المثال لا الحصر :اللالكائي:شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ص٣٣٥-٣٣٩. وأنظر أيضا الدارمي: رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص٤١-٤٥. وأنظر أيضا الدارقطني: كتاب النزول وكتاب الصفات، ص،٦٦-٧٦. وأنظر أيضا بن خزيمة: كتاب التوحيد، تحقيق أبو مالك بن أحمد بن على القفيلي،الطبعة الثانية، ١٤٢٧، ص٩٩. وأنظر أيضا بن منده:كتاب التوحيد، ص٤٨٣. وأنظر أيضا أبى يعلى: إبطال التأويلات لأخبار الصفات، ص٣٣٧-٣٤٢.

(٤٦) ابن تيمية: الرد على المنطقيين، تقديم السيد سليمان الندوي، تحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدين، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،٢٠٠٥.

(٤٧) أنظر البيهقي:الأسماء والصفات، تحقيق محمد محب الدين أبو زيد، الجزء الأول،دار الشهداء للتحقيق والنشر، ١٤٣٠، ص٥٠٧.

(٤٨) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثالث، ص٦٤٧.

(٤٩) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثامن والعشرون، ص٢٧٠،٢٧١.

(٥٠) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثالث، ص٦٤٧.

(٥١) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء السادس، ص٦.

(٥٢) محمد رشيد رضا:مجلة المنار، المجلد الثالث، ص٦٤٧.

(٥٣) أنظر على سبيل المثال القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تعليق أحمد بن الحسيني بن أبي هاشم، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦، ص٢٣٢-٢٧٦. وأنظر أيضا الجويني:كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص١٥١-١٥٧.وأنظر أيضا ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة،تحقيق محمود قاسم، مكتبة

الأنجلو المصرية،الطبعة الثانية٨١،٨٢،١٩٦٤. وأنظر أيضا ابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، المجلد الثاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة الأولى،١٣٢٣، ص٧٥-٧٦. وأنظر أيضا الدارمي:رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص١٣-١٩. وأنظر أيضا الدارمي: الرد على الجهمية، تحقيق أبو عاصم الشوامي، الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية للنشر، مصر،١٤٣١، ص١١٣-١١٨. محمد أمان على الجامي: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، ص٣٣٥

(*) أنظر في هذا على سبيل المثال لا الحصر: أحمد بن حنبل:- أصول السنة، ص٣، واللالكائي:شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة،ص٣٧٣-٣٨٧. وابن خزيمة: كتاب التوحيد، ص٢٨٦-٢٩٣. وابن منده: كتاب التوحيد، تحقيق محمد بن عبد الله الوهيبي، دار الهدى النبوي، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧. ص٤٧٥،٤٧٦.السفاريني: لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية، ص٢٨٢،٢٨٣.وابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، المجلد الثاني،ص٧٥. وأنظر أيضا أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة،تحقيق فوقية حسين، ص٣٥-٦٠.

(٥٤) الدارمي: الرد على الجهمية، ص٩٨.

(٥٥) الآجُرِّيُّ: الشريعة، الجزء الثاني، تحقيق عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٩٩،ص١٣،١٤.

(٥٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد،باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناظرة) الجزء ١٣،رقم ٦٩٩٧، ص٤٢٩.

(٥٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، الجزء الأول ،باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه، رقم ١٨١، ص١٦٣.

(٥٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، الجزء ١٣، رقم ٧٠٠٠، ص٤٣٧.

(٥٩)الآجُرِّيُّ: الشريعة، الجزء الثاني،ص٨-١٤.

(٦٠) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء الخامس، المجلد التاسع عشر، ص٢٨٣.

(٦١) نفس المصدر السابق، ص٢٨٤.

(٦٢) محمد رشيد رضا: تفسير المنار ، الجزء التاسع، ص١٧٧.

(٦٣) محمد رشيد رضا: مجلة المنار،الجزء الأول، المجلد الثالث، ص٤٤١.

(٦٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الجزء السادس، كتاب بدء الخلق، ص٣٢٩.

(*) أنظر في هذا الخلاف على سبيل المثال لا الحصر :اللالكائي:شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة،ص٣٩١. وأنظر أيضا الدرامي:رد الإمام الدرامي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص٧١-١٠٦. وأنظر أيضا أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة،تحقيق فوقية حسين، ص١٠٥-١١٩.وأنظر أيضا الدرامي:الرد على الجهمية،ص٤٦-٥٠.وأنظر أيضا بن خزيمة: كتاب التوحيد، ص١٨٢. وأنظر أيضا بن منده:كتاب التوحيد، ص٧٣٣-٧٣٥. وأنظر أيضا أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق أحمد محمد شاكر، ص٢٥٨-٢٦١.

(٦٥) أنظر ابن تيمية: التدمرية، ص٤،٥.

(٦٦) ابن قدامة: ذم التأويل، ص١١.

(٦٧) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المجلد الخامس، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية،٢٠٠٣، ص٤١.

(٦٨) محمد رشيد رضا: مجلة المنار،الجزء ١١، المجلد السابع عشر، ص٨٢٨.

(٦٩) نفس المصدر السابق، ص٨٢٨.

(٧٠) محمد رشيد رضا: مجلة المنار،الجزء ١١، المجلد السابع عشر، ص٨٢٧.

(٧١) نفس المصدر السابق، ص٨٢٧.

(٧٢) محمد رشيد رضا: مجلة المنار،الجزء ١١، المجلد السابع عشر، ص٨٢٧-٨٢٨.

(٧٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، الجزء ١٣، الرقم ٧٠٩٨، ص٥٢١.

(٧٤) أنظر الدرامي:الرد على الجهمية، ص٨٤-٨٦.

(٧٥) أنظر الدرامي: رد الإمام الدرامي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص١٤٨-١٥٠.

(*) أنظر في هذا سبيل المثال لا الحصر: ابن قدامة المقدسي:شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تقديم محمد صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، السعودية، الطبعة الثانية،١٩٨٤،ص٢٩. وأنظر أيضا أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة،تحقيق فوقية حسين، ص١١٤. وانظر أيضا ابن تيمية: شرح العقيدة الواسطية، شرح محمد خليل هراس، دار الفوائد، القاهرة، الطبعة الأولى، ص٦٣.

(٧٦) أبو الحسن الأشعري: رسالة إلى أهل الثغر، تحقيق عبد الله شاكر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢،ص٢٢٧.

(٧٧) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء التاسع، ص١٤٥-١٤٦.

(٧٨) نفس الصدر السابق،ص١٤٦.

(٧٩) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء الثامن، ص٢٠٨ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً مؤلفات محمد رشيد رضا

١-محمد رشيد رضا: المنار والأزهر، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٢هـ.

٢---------: تاريخ الأستاذ الإمام، دار الفضيلة، القاهرة الطبعة الثانية، ٢٠٠٦.

٣---------: الوحي المحمدي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة،١٤٠٦.

٤---------: تفسير المنار، الجزء الأول، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الثانية،١٩٤٧.

٥---------: تفسير المنار، الجزء االثالث، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧.

٦---------: تفسير المنار، الجزء السابع، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧.

٧---------: تفسير المنار، الجزء الثامن، مطبعة المنار، مصر الطبعة الأولى، ١٢٩٨.

٨---------: تفسير المنار، الجزء التاسع، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٦٧هـ.

٩---------: مجلة المنار، الجزء الأول ، المجلد الثامن، القاهرة، ١٩٠٥.

١٠---------: مجلة المنار، الجزء الأول ، المجلد الثامن والعشرون، القاهرة،١٩٢٧.

١١---------: مجلة المنار، الجزء الثاني، المجلد الأول، القاهرة،١٨٩٩.

١٢---------: مجلة المنار، الجزء الخامس، المجلد التاسع عشر،القاهرة، ١٩١٦.

ثأنياً المصادر

١-ابن القيم: مدارج السالكين، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

٢-----: بدائع الفوائد، المجلد الأول، تحقيق على بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، السعودية، ١٤٢٤.

٣-----: طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩.

٤-----: أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، المجلد الثاني، دار بن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

٥-----: الصواعق المُرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق على بن محمد الدخيل، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

٦-ابن تيمية: شرح العقيدة الواسطية، شرح محمد خليل هراس، دار الفوائد، القاهرة، الطبعة الأولى.

٧-----: الرسالة التدمرية (تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع) تحقيق د/ محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة السادسة، ٢٠٠٠.

٨-------: مجموع الفتاوى، المجلد الخامس، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم، وزارة الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد للمصحف الشريف، السعودية،٢٠٠٣.

٩-------: الفتوى الحموية الكبرى، تحقيق،حمد بن عبد المحسن التوبجري، دار الصميعي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى،١٩٩٨.

١٠-------: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، المجلد الثاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة الأولى،١٣٢٣.

١١-------: درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، الجزء الأول.

١٢-------:مجموعة الرسائل والمسائل، الجزء الأول، تخريج وتعليق محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي.

١٣--------: الرد على المنطقيين، تقديم السيد سليمان الندوي، تحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدين، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،٢٠٠٥.

١٤--------: مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المجلد الخامس، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية،٢٠٠٣.

١٥--------: شرح العقيدة الواسطية، شرح محمد خليل هراس، دار الفوائد، القاهرة، الطبعة الأولى،

١٦- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، راجعه قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

١٧- ابن خزيمة: كتاب التوحيد، تحقيق أبو مالك بن أحمد بن على القفيلي، الطبعة الثانية، ١٤٢٧.

١٨-ابن قدامة المقدسي: ذم التأويل، تحقيق بدر بن عبد الله بدر، دار الفتح، الشارقة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.

١٩----------:شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تقديم محمد صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، السعودية، الطبعة الثانية،١٩٨٤.

٢٠- ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية،الطبعة الثانية،١٩٦٤.

٢١-أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ، تحقيق وتعليق فوقية حسين، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٩٧٧.

٢٢------: رسالة إلى أهل الثغر، تحقيق عبد الله شاكر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢.

٢٣-ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد ابراهيم نصر ، دار الجبل ، بيروت، الطبعة الثانية ،١٩٩٦.

٢٤-بن منده: الرد على الجهمية، تحقيق على بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤.

٢٥-----:كتاب التوحيد، تحقيق محمد بن عبد الله الوهيبي، دار الهدى النبوي، مصر،الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

٢٦- أبي سليمان حمد بن محمد البُستي الخطابي:- الغُنية عن الكلام وأهله، دار المنهاج للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤.

٢٧- أبي عثمان بن إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني:- عقيدة السلف وأصحاب الحديث أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة، تحقيق ناصر عبدالرحمن بن محمد الجديع، دار العاصمة ، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٩٨.

٢٨- أبي يعلى محمد بن الحسين ابن محمد بن الفراء:- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تحقيق أبي عبدالله محمد بن حمد النجدي، الجزء الأول، ، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الكويت.

٢٩- أحمد بن حنبل: أصول السنة، تحقيق عبد الله بن حسن بن الحسين، المطبعة السلفية للنشر،السعودية،١٣٤٩.

٣٠- البخاري:خلق أفعال العباد ,تحقيق عبد الرحمن عميرة،دارعكاظ،جدة،السعودية،الطبعة الثانية.

٣١- البيهقي:الأسماء والصفات، تحقيق محمد محب الدين أبو زيد، الجزء الأول،دار الشهداء للتحقيق والنشر، ١٤٣٠.

٣٢----:الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٨٤،١.

٣٣- الآجُرِّيُّ: الشريعة، تحقيق عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٩٩.

٣٤- الجويني: كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى،٢٠٠٩.

٣٥-الدارقطني: كتاب النزول وكتاب الصفات، تحقيق على بن محمد بن ناصر الفقيهي، الطبعة الاولى، ١٩٨٣.

٣٦-الدارمي: رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد، تحقيق محمد حامد الفقي،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،١٣٥٨.

٣٧-----: الرد على الجهمية، تحقيق أبو عاصم الشوامي، الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية للنشر، مصر، ١٤٣١.

٣٨- السفاريني: لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية، تحقيق عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري،الجزء الأول، مكتبة الرشد، الرياض.

٣٩- القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تعليق أحمد بن الحسيني بن أبي هاشم، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦.

٣١- اللالكائي:شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تخريج أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري, المجلد الأول، دار البصيرة، الإسكندرية، ٢٠٠١.

٣٢- الأصبهاني:- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة والجماعة ، الجزء الأول، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.

المقريزي: الخطط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الجزء االرابع،الطبعة الأولى،١٤١٨.

٣٣- خير الدين الزركلي:الأعلام، الجزء السادس، دار العلم للملايين بيروت، لبنان الطبعة الخامسة ،١٩٨٠.

٣٤- عبد الكريم الشهرستاني: نهاية الأقدام في علم الكلام، حرره وصححه الفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩.

٣٥- على بن على بن محمد بن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق أحمد محمد شاكر، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤١٨، ص١٧.

٣٦- عز الدين عبد السلام:- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

٣٧- فخر الدين الرازي:كتاب لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، المطبعة الشرفية بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٣هـ.

٣٩- محمد عبده: رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٤.

٤٠-----:الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، دار الحداثة، القاهرة، الطبعة الثالثة،١٩٨٨.

٤١-----:الإسلام في أوائل القرن العشرين، دار المنظومة، ٢٠١٨.

٤٢-نور الدين الصابوني: كتاب البداية من الكفاية في الهدايه في أصول الدين، تحقيق فتح الله خليف دار المعارف، مصر ١٩٦٩.

ثالثاً المراجع

١-جولد تسهر: مذاهب التفسير الإسلامي، تقديم عبد الحليم النجار،مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٥٤.

٢-حسين جابر بني خالد:الأصول المنهجية في العقيدة عند المدارس الفكرية، المجلة الأردنية، المجلد ١١، العدد٢، ٢٠١٥.

٣- شكيب أرسلان:السيد رشيد رضا أو أخاء أربعين سنة،الطبعة الأولى،مطبعة بن زيدون دمشق،١٩٣٧

٤- محمد أمان على الجامي: الصفات الإبهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الأولى،١٤٠٨.

٥-محمد بن عبد الله السلمان:رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى،١٩٨٨.

٦-محمد رجب البيومي:النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين،الجزء الأول، دار القلم، دمشق،الطبعة الأولى، ١٩٩٥.